بسم الله الرحمن الرحيم

تبديل السيئات حسنات
دراسة تحليلية مقارنة في القرآن الكريم

إعداد

الدكتور : فهد بن عبدالرحمن المثيب الشمري

أستاذ العقيدة المشارك في جامعة حائل

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أما بعد :

الوقوع في السيئة من طبيعة البشر ، فكل بني آدم خطّاء ، ولكن إذا تاب العبد وعاد إلى ربه فإن الله تعالى يقبل توبته كرما منه تعالى وتفضلا منه سبحانه ، وقد جاء في القرآن الكريم التأكيد على تكفير السيئات والعفو عن الزلات لمن تاب وأناب ، كما ثبت ذلك في السنة المطهرة .

وقد ورد في القرآن أيضا في شأن التائبين أن الله تعالى يبدّل سيئاتهم حسنات ، كما أخبر تعالى في سورة الفرقان حيث قال سبحانه : {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} الفرقان: ٧. وقد اختلف العلماء في معنى هذا التبديل ، وقد عزمت على بحث هذه المسألة وذلك بالرجوع إلى أقول السلف وكتب التفسير وأقوال المحققين من أهل العلم ، وذلك لأهميتها وارتباطها بالاعتقاد والإيمان باليوم الآخر .

موضوع البحث :

تبديل السيئات حسنات ، وعرض أقوال أهل العلم في معنى هذا التبديل وتحرير هذه المسألة.

مشكلة البحث :

جاء هذا البحث لبيان المسائل التالية :

١ – ما المراد بالحسنات والسيئات وما الفرق بينهما ؟

٢ – ما هي أسباب تكفير السيئات ؟

٣ – ما المراد بتبديل السيئات حسنات ، وهل هذا التبديل في الدنيا أم في الآخرة ؟

٤ – ما هي لوازم كل قول من تلك الأقوال ؟

حدود الدراسة :

سيتناول البحث دراسة عقدية تحليليّة للآية الكريمة على ضوء ما ذكره المفسرون وعلماء السلف في شأن تبديل السيئات حسنات .

أهداف البحث

١ – تصحيح بعض المفاهيم حول معنى آيات القرآن الكريم .

٢ – الاحتكام إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف .

٣ – الرجوع إلى فهم سلف الأمة للنصوص الشرعية .

٤ – بيان القول الصحيح في هذه المسألة ومناقشة الأقوال الأخرى في إطار منهج علمي .

الدراسات السابقة

بالرجوع إلى الفهارس ، ومراكز البحوث والمواقع المتخصصة في علوم العقيدة لم أجد من تناول مسألة تبديل السيئات حسنات بدراسة تحليلية مستقلة ، بينما غاية ما هنالك كتابات مختصرة ونقل لقول مفسّرٍ من المفسرين ، كما أن الموضوعات التي اطلعت عليها لا تعدو كونها مقالات يتبنّى أصحابها قولا واحدا في هذه المسألة ، لذلك فهذه المسألة بحاجة لدراسة بشكل أكثر تفصيلا ، وهو ما حاولت القيام به في هذا البحث .

منهج البحث

١ - أقوم بدراسة المسائل العقدية دراسة علمية .

٢ - أذكر الأدلة على تلك المسائل كما أنقل فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة .

٣ – أنقل أقوال العلماء ، وأرجّح بين الأقوال عند الاختلاف .

٤ - أقوم بإرجاع أقوال العلماء إلى مصادرها الأصيلة .

٥ - أعزوُ الآياتِ القرآنية إلى مواضعها في القرآن ، وذلك بذكر السورة والآية .

٦ - أخرّج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصيلة ، وأبيّن الحكم عليها من خلال أقوال المحدثين .

خطة البحث

هذا وقد جعلت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة ، اشتملت على بيان أهمية موضوع البحث، ومشكلته ، وحدود الدراسة ، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث .

المبحث الأول : تعريف الحسنات والسيئات وبيان الفرق بينهما ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحسنات :

المطلب الثاني : تعريف السيئات :

المطلب الثالث : الفرق بين الحسنات والسيئات .

المبحث الثاني : الأدلة الواردة في تكفير السيئات ، وبيان وسائلها . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على تكفير السيئات .

المطلب الثاني : وسائل تكفير السيئات .

المبحث الثالث : تحقيق مسألة تبديل السيئات حسنات

الخاتمة

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله أن ينفع بهذا البحث كاتبه وعموم المسلمين

المبحث الأول

تعريف الحسنات والسيئات

المطلب الأول

تعريف الحسنات

تعريف الحسنات لغة :

الحُسْنُ : ضدُّ القُبْح ونقيضه ، والحُسْن نَعْت لما حَسُن .

قال الجوهري : " والجمع مَحاسِن على غير قياس ، وإنه لَحَسَن يريد فِعْل الحال ، وجمع الحَسَن حِسان " [(١)] .

والعرب تقول : أحسَنْتُ بفلانٍ ، وأسأتُ بفلانٍ أي أحسنت إليه وأسأت إليه .

وتقول : أَحْسِنْ بنا أي أحسِنْ إلينا ، ولا تُسِئْ بنا [(٢)] .

وقال في لسان العرب : " والحَسَنةُ: ضدُّ السيِّئة. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ؛ وَالْجَمْعُ حَسَنات وَلَا يُكسَّر. والمَحاسنُ فِي الأعمال: ضدُّ المَساوي " [(٣)] .

لحسنا ش عا .

قال العيني : " الحسنات جمع حسنة، وهي الفعلة الحسنة من الحُسْن خلاف القبح، والحسنة هي الخصلة التي يعملها العبد، والذي يعطيه ربه عليها تُسمى جزاء وثواباً " [(٤)] .

قال الراغب : " الحسنة يعبر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه و بدنه وأحواله " . فلا يقتصر المعنى على الثواب فقط قال تعالى : {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }النساء : ٧٨ [(٥)] .

قال جمهور المفسرين : " (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ) ؛ أي خصب ورزق وسعة ونصر " [(٦)] ، أما الإحسان ؛ فإنه يقال على وجهين – كما تقدم – أحدهما : الإنعام إلى

---

(١) لسان العرب مادة : حسن . ومختار الصحاح ص ١٦٧

(٢) انظر : مختار الصحاح ص ١٦٧

(٣) لسان العرب مادة : حسن .

(٤) شرح أبي داود (١٨٧/١)

(٥) المفردات " للراغب " ص ٢٣٥ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير (٣١٩/٢) .

الغير والثاني : الإحسان في الفعل أو العمل ؛ كما رُوي عن علىّ : " الناس أبناء ما يحسنون "[1] .
؛ أي منسوبون إلى ما يعملون ويعملونه من الأقوال والأفعال الحسنة .
و العلاقة بين الحسنة والإحسان واضحة ؛ لأن من يُحْسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد و العبادة، أو إلى غيره بالقول أو الفعل ؛ فإنّ ذلك يثمر الحسنى ؛ فالعلاقة بين الحسنة و الإحسان علاقة و طيدة واضحة مرتبطة ؛ قال تعالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } يونس : ٢٦ .
و الحسنى هي : الجنة ، و الزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى ، قال عكرمة : " هل جزاء من قال : لا إله إلا الله . إلا الجنة ". وقال ابن زيد :" هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن الله إليه في الآخرة " فالمراد بالإحسان في هذه الآية هو قول : لا إله إلا الله [2] .
فمن معاني الحسنى – التي هي ثمرةٌ من ثمرات الإحسان – التوحيد و ثمرة التوحيد : الجنة ، قال تعالى : { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } الرحمن : ٦٠

المطلب الثاني

تعريف السيئات

تعريف السيئات لغة :
ساءَهُ يَسُوءُه سَوْءًا وسُوءًا ، فَعَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ، نَقِيضُ سَرَّه . وَالِاسْمُ : السُّوءُ بالضم . لسان العرب مادة : سوأ . وَيُقَالُ: ساءَ مَا فَعَلَ فُلان صَنِيعاً يَسُوءُ ، أي قَبُحَ صَنِيعُه صَنِيعاً.
والسُّوءُ : الْفُجُورُ والمُنْكَر . تَقُولُ: ساءَ الشيءُ يَسُوءُ سَوْءًا، فَهُوَ سيِّئٌ، إِذا قَبُحَ، وَرَجُلٌ أَسْوَأُ : قبيحٌ .
والسيئة نقيض الحسنة [3] .
قال ابن منظور : " وأساءَ الرجلُ إساءَةً: خلافُ أحسَن. وأساءَ إِلَيْهِ: نَقِيضُ أَحْسَنَ إِلَيْهِ "[4] .
والسَّيِّئَةُ: الخَطِيئةُ، والسَيِّئُ والسَّيِّئَةُ : عَمَلان قبيحان .
تعريف السيئات شرعا
السيئات : جمع سيئة ، وهي ما يسيء صاحبه في الآخرة أو الدنيا [5] .

---

(١) أورده ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٤١٦/١) بغير سند .
(٢) انظر: " تفسير القرطبي " (١٨٢/١٧) .
(٣) انظر : لسان العرب مادة : سوأ (٩٥/١) ، وجمهرة اللغة (٢٣٧/١).
(٤) لسان العرب مادة : سوأ (٩٧/١) .
(٥) انظر : فيض القدير (٥٢٠/٢)

وقال المناوي : " سيئات : جمع سيئة أي قبيحة سميت به لسوئها لصاحبها " [1] .

والسيئة : هي الفعلة القبيحة ،وسميت بذلك؛ لأنها تسوء صاحبها عاجلا أو آجلا .

السَّيِّئَاتُ هُنَا جَمْعُ سَيِّئَةٍ وَهِيَ الْحَالَةُ أَوْ الْفِعْلَةُ الَّتِي تَسُوءُ مَنْ تَعَلَّقَتْ بِهِ [2] .

وإنما سُميت السيئة (سيئة) لأنها تسوء صاحبها يوم القيامة إذا نظر إليها في صحيفته [3] .

المطلب الثالث

الفرق بين الحسنات والسيئات

لفظ الله بين الحسنة والسيئة بقوله: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء : ٧٩

فالحسنة: أنعم الله بها وبثوابها، و" السيئة " هي من نفس الإنسان ناشئة، وإن كانت بقضائه وقدره، كما قال تعالى: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} الفلق: ٢ ، فمن المخلوقات ماله شر، وإن كان بقضائه وقدره .

وقد بيّن شيخ الإسلام الفروق بينهما كما فرّق الله بينهما في كتابه بقوله : {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} . النساء : ٧٩

فإن قيل: إذا كانت الطاعات والمعاصي مقدرة، والنعم والمصائب مقدرة، فلم فرق بين الحسنات التي هي النعم، والسيئات التي هي المصائب؟ فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؟

قيل: لفرق بينهما:

الفرق الأول: أن نعم الله وإحسانه إلى عباده يقع ابتداء بلا سبب منهم أصلا، فهو ينعم بالعافية والرزق والنصر، وغير ذلك على من لم يعمل خيراً قط، وينشئ للجنة خلقاً يسكنهم فضول الجنة، وقد خلقهم في الآخرة لم يعملوا خيراً، ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل. وأما العقاب، فلا يعاقب أحداً إلا بعمله.

الفرق الثاني: أن الذي يعمل الحسنات، إذا عملها، فنفس عمله الحسنات هو من إحسان الله، وبفضله عليه بالهداية والإيمان، كما قال أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} الأعراف: ٤٣ .

وفى الحديث الصحيح: (يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحْصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وَجَد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه) [4] .

---

(١) فيض القدير (١٠٤/١)

(٢) التحرير والتنوير (٩٣/٢٤)

(٣) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ (٢٩٦/٤) .

(٤) رواه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم الظلم رقم (٢٥٧٧)

فنفس خلق الله لهم أحياء، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة، هو من نعمته. ونفس إرسال الرسول إليهم، وتبليغه البلاغ المبين الذي اهتدوا به، هو من نعمته.
الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله وينميها، ويثيب على الهم بها، والسيئة لا يضاعفها، ولا يؤاخذ على الهم بها. فيعطى صاحب الحسنة من الحسنات فوق ما عمل، وصاحب السيئة لا يجزيه إلا بقدر عمله، قال تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}الأنعام: ١٦٠.
الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه؛ لأنه أحسن بها من كل وجه كما تقدم فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضى الإضافة إليه .
وأما السيئة فهو إنما يخلقها بحكمة، وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير.
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح: (والخير بيديك، والشر ليس إليك)[1]، فإنه لا يخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلى، أو شر مطلق، فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه .[2]

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب : الدعاء، في صلاة الليل وقيامه رقم (٧٧١)
(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٠) .

المبحث الثاني

الأدلة الواردة في تكفير السيئات

فيه مطلبا :

المطلب الأول

الأدلة على تكفير السيئات

أولا : الأدلة من القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم أدلة كثيرة على تكفير السيئات أذكر بعضا منها :

قول الله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} الشورى : ٢٥

حيث دلت الآية على أن الله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، وهذا كثير في القرآن الكريم ، ومن ذلك قول تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} الزمر : ٥٣

وقال تعالى : {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} غافر : ٣ ، وقال تعالى : {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} النجم : ٣٢

كما بيّن تعالى جزاء المتقين بمغفرة ذنوبهم ، حيث قال : {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} الأنفال : ٢٩ ، وقال سبحانه : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} المائدة : ٦٥

كما جعله جزاء للإيمان حيث قال سبحانه : {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ} التغابن : ٩

وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ } العنكبوت : ٧

ثانيا : الأدلة من السنة :

كذلك وردت أدلة كثيرة تدل على تكفير السيئات منها :

ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : (يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني ، غفرت لك ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ،ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة)[1] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز و جل أنه قال : (أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لي ذنبي . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٥/٥٤٨) برقم : ٣٥٤٠ وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقال الحافظ ابن رجب : إسناده لابأس به ، انظر جامع العلوم والحكم ص٤٦٤ .

فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي . فقال تعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي) وفي رواية لمسلم : (فليفعل ما شاء) [1] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) [2] .

المطلب الثاني

وسائل تكفير السيئات

إن الله تعالى يكفر السيئات ويعفو عن الخطايا والذنوب ، وجعل لذلك أسبابا ووسائل ذكرها في كتابه وبيّنها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته قال ابن القيم رحمه الله : " وهذا التمحيص يكون في دار الدنيا بأربعة أشياء بالتوبة والاستغفار وعمل الحسنات الماحية والمصائب المكفرة" [3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن الذنوب التي يبتلى بها العباد يسقط عنهم عذابها إما بتوبة تجب ما قبلها، وإما باستغفار وإما بحسنات يذهبن السيئات ، وإما بدعاء المسلمين وشفاعتهم أو بما يفعلونه له من البر ، وإما بشفاعة النبي صلى الله عليه و سلم وغيره فيه يوم القيامة ، وإما أن يكفر الله خطاياه بما يصيبه من المصائب ، فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم : (أن ما يصيب المسلم من أذى شوكة فما فوقها إلا حط الله بها خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها) [4] " [5] .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذه الجميع لها منها هي سبب لعدم لكن لعقوبة بها في الآخرة في جهنم تدفع بعضها عشرة أسباب :

السبب الأول : التوبة ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة مقبولة من جميع الذنوب الكفر والفسوق والعصيان قال الله تعالى : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ } سورة الأنفال : ٣٨ .

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب : قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (١٣ / ٣٩٣) ، ومسلم في التوبة، باب : قبول التوبة من الذنوب رقم (٢٧٥٨)

(٢) رواه مسلم في التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار. رقم (٢٧٤٩)

(٣) مدارج السالكين (١٦٢/١)

(٤) رواه البخاري في المرضى، باب : شدة المرض، (١٠ / ٩٦)، ومسلم في البر والصلة، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من المرض أو الحزن. رقم (٢٥٧١)

(٥) الاستقامة (١٨٥/٢) .

وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } سُورَةُ الزُّمَر: ٥٣
وقال تعالى : {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } سورة التوبة ١١
وقال تعالى : {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } . سورة المائدة : ٧٣ ، ٧٤
قال الحسن البصري : " انظروا إلى هذا الكرم والجود فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ثم هو يدعوهم إلى التوبة " .
لسبب الثاني : الاستغفار . فإن الاستغفار هو طلب المغفرة ، وهو من جنس الدعاء والسؤال وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به .
وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز و جل أنه قال : (أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لي ذنبي . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي . فقال تعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي) وفي رواية لمسلم : (فليفعل ما شاء) (١) .
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) (٢) .
لسبب الثالث : الأعمال الصالحة . فإن الله تعالى يقول : {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} سورة هود ١١٤ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يوصيه : (يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) (٣) .
وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب : قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (١٣ / ٣٩٣) ، ومسلم في التوبة، باب : قبول التوبة من الذنوب رقم (٢٧٥٨)
(٢) رواه مسلم في التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار. رقم (٢٧٤٩)
(٣) رواه الترمذي في البر، باب : ما جاء في معاشرة الناس، وهو حديث حسن، رقم (١٩٨٨) ، وأحمد (١٥٣/٥) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٨٦/١) .

بينهن إذا اجتنبت الكبائر) [١]
وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه و سلم : (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) [٢] .
و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [٣] .
وقال : (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى من درنه شيء قالوا لا قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) [٤].
لسبـ ـ ـبع : الدعاء للمؤمنين فإن صلاة المسلمين على الميت ودعاءهم له من أسباب المغفرة وكذلك دعاؤهم واستغفارهم في غير صلاة الجنازة .
لسبـ ـلخامـ : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة .
لسبـ ـلسا : ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدي له مثل من يتصدق عنه ويحج عنه ويصوم عنه فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ذلك يصل إلى الميت وينفعه وهذا غير دعاء ولده فإن ذلك من عمله
قال النبي صلى الله عليه و سلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [٥] .
فولده من كسبه ودعاؤه محسوب من عمله بخلاف دعاء غير الولد فإنه ليس محسوبا من عمله والله ينفعه به .
لسبـ ـلسابع : المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (مَا مِنْ مُصيبة تُصِيبُ المسلم إلا كفَّر الله عنه بها، حتى الشَّوكةِ يُشاكُها) [٦] .
لسبـ ـلثامـ : ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين

---

(١) رواه مسلم في الطهارة، باب : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن رقم (٢٣٣) .
(٢) رواه البخاري في الصوم، باب : من صام رمضان إيماناً واحتساباً، (٤ / ٩٩) ومسلم في صلاة المسافرين، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح رقم (٧٥٩).
(٣) رواه البخاري في الحج، باب : وجوب العمرة وفضلها، (٣ / ٤٧٦) ، ومسلم في الحج، باب : في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة رقم (١٣٤٩).
(٤) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب : الصلوات الخمس كفارة، (٢ / ٩) ، ومسلم في المساجد، باب : المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات رقم (٦٦٧) .
(٥) رواه مسلم في الوصية، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم (١٦٣١).
(٦) رواه البخاري في المرضى، باب : ما جاء في كفارة المرض، (١٠ / ٨٩ و ٩٠) ، ومسلم في البر والصلة، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن . رقم (٢٥٧٢)

لسب لتاسع : ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة
لسب لعاش : ما ثبت في الصحيحين : (أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة) [1] [2] .

المبحث الثالث

تحقيق مسألة تبديل السيئات حسنات

مسألة تب يل لسيئا حسنا تنا لها لعلما ق ختلف في صفة ه لتب يل ل في لآية لى ق ل متع لكنها تخا لى ق لي :
لق ل لأ ل : تبديلهم بقبائح أعمالهم محاسنها، فبدّلهم بالشرك إيماناً، وبالزنا عفة وإحصاناً، وبالكذب صدقاً، وبالخيانة أمانة . وهو ما ذهب إليه ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك وغيرهم [3] .
قال القرطبي في نقله عن الحسن قوله :" إنما التبديل في الدنيا، يبدل الله لهم إيماناً مكان الشرك، وإخلاصاً مكان الشك، وإحصاناً مكان الفجور . وقال الزجاج : ليس يجعل مكان السيئة الحسنة، لكن يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة " [4] .
وقال الثعلبي : " قال ابن عباس وابن جريج والضحاك وابن زيد: {يبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} الفرقان: ٧٠ ، يبدلهم الله بقبيح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً " [5]
فيجعل الله أعمالهم بدل معاصيهم الأولى طاعة، فيكون ذلك سبباً لرحمة الله إياهم [6] .
وقال ابن رجب في تفسيره لهذا القول : " فيقال: إنَّما التبديلُ في حقِّ مَنْ نَدِمَ على سيئاته، وجعلها نصبَ عينيه، فكلما ذكرها ازداد خوفاً ووجلاً، وحياء من الله، ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفرة كما قال تعالى: {إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً} وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ومن كانت هذه حاله، فإنَّه يتجرَّعُ من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعافَ ما ذاق من حلاوتها عندَ

---

(١) رواه البخاري في المظالم، باب : قصاص المظالم، (٥ / ٧٠) .
(٢) انظر : منهاج السنة (٦/٢٠٥ – ٢٣٨) .
(٣) انظر : تفسير الطبري (١٩ / ٣١٠) ، وتفسير البغوي (٣/٤٥٨) ، وطريق الهجرتين ص ٢٤٥ ، جامع العلوم والحكم (١/٣١٩)
(٤) تفسير القرطبي (١٣/٧٨) .
(٥) تفسير الثعلبي (٧/١٥٠) ، وطريق الهجرتين ص ٢٤٥
(٦) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٥

فعلها، ويصيرُ كلُّ ذنبٍ من ذنوبه سبباً لأعمال صالحةٍ ماحية له، فلا يُستنكر بعد هذا تبديل هذه الذنوب حسنات " [1] .

وقال في إرشاد الساري : " تنقلب السيئات الماضية بنفس التوبة النصوح حسنات لأنه كلما يذكرها ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة " [2] .

وعليه فمن ذهب إلى هذا القول يرى أن التبديل إنما يكون في الدنيا ، وأصحاب هذا القول اختلفوا في تفسير ما ذهبوا إليه إلى قولين :

الأول : خاص في أهل الشرك بمعنى أنَّ الله يُبَدِّلُ من أسلم وتاب إليه بَدَلَ ما كان عليه من الكفر والمعاصي: الإيمان والأعمال الصالحة، وهو المشهور عن أكثر المفسرين، ومنهم: عطاء، وقتادة، والسُّدي ، وعِكرمة[3] .

وقال ابن رجب : " قال الحسن وأبو مالك وغيرهما: هي في أهل الشرك خاصة ليس هي في أهل الإسلام "[4] .

لقـ ل لثاني : أن يوفقه ليعمل مكان سيئاته حسنات [5]، قال ابن عطية : " يجعل أعمالهم بدل معاصيهم الأولى طاعة، فيكون ذلك سبباً لرحمة الله إياهم، قاله ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن " [6] .

ستـ ل لقائلـ بهـ يـ لقـ ليـ بأـ لة منها ما يلي :

١ - عموم الأدلة التي تدل على أن التوبة تكفّر سيئاته وتغفر ذنوبه ، وهذا مستفيض في القران الكريم والسنة النبوية .

٢ – قالوا : إن السيئة لا تنقلب حسنة، وذلك أنها كانت بغيضة مكروهة للرب فكيف تنقلب محبوبة مرضية [7] .

٣ – ما ثبت في "السنن" عند النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : " إن قوما كانوا قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، وانتهكوا؛ فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟ فأنزل الله عز وجل: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } إلى: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} قال: "يبدل الله شركهم إيمانا وزناهم إحصانا،

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٢) إرشاد الساري (٢٧٦/٧)
(٣) انظر : جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٤) جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٥) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٥
(٦) تفسير ابن عطية (٢٢١/٤) .
(٧) انظر : طريق الهجرتين ص٢٤٦

ونزلت: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} الزمر : ٥٣ ، وهذا من كلام ابن عباس [١] .

القول الثاني : التبديل بمعنى غفران الذنوب .

قال القرطبي : التبديل عبارة عن الغفران ، أي : يغفر الله لهم تلك السيئات لا أن يبدلها حسنات .

فالسيئة لا تنقلب حسنة، بل غايتها أن تمحى وتكفّر ويذهب أثرها .

واستدل أصحاب هذا القول بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من تكفير للسيئات ومغفرةٍ للذنوب والخطيئات ، كقوله تعالى: {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} آل عمران: ١٩٣ ، وقوله تعالى: {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} الشورى: ٣٠ ، وقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} الزمر: ٥٣ ، والقرآن مملوءٌ من ذلك .

وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) [٢] .

وفى الصحيح من حديث قتادة عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: (يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف ؟ فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على الله عز وجل، ألا لعنةُ الله على الظالمين) [٣] .

فهذا الحديث المتفق عليه الذي تضمن العناية بهذا العبد إنما فيه ستر ذنوبه عليه في الدنيا ومغفرتها له يوم القيامة.

القول الثاني : تبديل سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة .

---

(١) رواه النسائي في تحريم الدم، باب : تعظيم الدم (٧ / ٨٦) . صححه الألباني في صحيح سنن النسائي . رقم الحديث : ٤٠٠٣

(٢) رواه الترمذي في البر، باب : ما جاء في معاشرة الناس، وهو حديث حسن، رقم (١٩٨٨) ، وأحمد (١٥٣/٥) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٨٦/١) .

(٣) رواه البخاري في المظالم، باب : قول الله تعالى: {ألا لعنة الله على الظالمين} ، (٥ / ٧٠) ، ومسلم في التوبة، باب : توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٢٧٦٨)

قال ابن رجب : " وقال آخرون: التبديلُ في الآخرة . جعلت لهم مكان كلِّ سيئةٍ حسنة، منهم: عمرو بن ميمون، ومكحول، وابن المسيب، وعلى بن الحسين " [١] .

قال الثعلبي : " وقال آخرون: يعنى يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في حال إسلامهم حسنات يوم القيامة " [٢] .

استدل بما يلي :

١ – ما رواه مسلم في صحيحه عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم آخر أهل الْجَنَّة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياءَ لا أراها هاهنا " فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه [٣] .

٢ – ما أخرجه الحاكم في مستدركهمن طريق الفَضْل بن موسى، عن أبي العَنْبس، عن أبيه، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ليتَمنَّينَّ أقوامٌ أنَّهم أكثَرُوا من السيِّئات) ، قالوا: بمَ يا رسولَ الله؟ قالَ: (الذين بَدَّل الله سيئاتهم حسّنات) [٤] .

قالوا : وهؤلاء هم الأبدال في الحقيقة، فإنهم إنما سموا أبدالاً لأنهم بدلوا أعمالهم السيئة بالأعمال الحسنة، فبدل الله سيئاتهم التي عملوها حسنات، قالوا : وأيضاً فالجزاءُ من جنس العمل، فكما بدلوهم أعمالهم السيئة بالحسنة بدلها الله من صحف الحفظة حسنات جزاءً وفاقاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد ثبت في الصحيح : حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها أن تظهر فيقول الله له : (إني قد غفرتها لك وأبدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول : أي رب ! إن لي سيئات لم أرها) إذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقا منها أن تظهر ومعلوم أن حاله هذه مع هذا التبديل أعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل " [٥] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٢) تفسير الثعلبي (١٥٠/٧) ، وانظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٥
(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (١٩٠)
(٤) المستدرك للحاكم (٢٥٢/٤) برقم : ٧٦٤٣
(٥) مجموع الفتاوى (٢٩٤/١٠) .

٣ – وردت أحاديث صريحة في أن الكافر إذا أسلم ، وحسن إسلامه تبدلت سيئاته في الشرك حسنات ، منها ما أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبي فروة أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها، ولم يترك حاجة ولا داجة، فهل له من توبة؟ فقال: (أسلمتَ؟) قال: نعم، قال: (فافعلِ الخيرات، واترك السيئات، فيجعلها الله لك خيرات كلّها) ، قال: وغدَرَاتي وفجَرَاتي؟ قال: (نعم) ، قال: فما زال يكبِّر حتى توارَى [(١)] .

٤ – في قوله تعالى : {سيئاتهم حسنات} أضاف السيئات إليهم لكونهم باشروها واكتسبوها، ونكّر الحسنات ولم يضفها إليهم لأنها من غير صنعهم وكسبهم، بل هى مجرد فضل الله وكرمه [(٢)] .

٥ – أن التبديل في الآية إنما هو فعل الله لا فعلهم، فإنه أخبر أنه هو يبدل سيئاتهم حسنات، ولو كان المراد تبديلها بالأعمال الصالحة لأضاف التبديل إليهم فإنهم هم الذين يبدلون سيئاتهم حسنات، والأعمال إنما تضاف إلى فاعلها وكاسبها كما قال الله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ} البقرة: ٥٩ ، وأما ما كان من غير الفاعل فإنه يجعله من تبديله هو كما قال الله تعالى: {وَبَدَّلْنَاهُمْ بجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ} سبأ: ١٦ ، فلما أخبر سبحانه أنه هو الذى يبدل سيئاتهم حسنات دل على أنه شيء فعله هو سبحانه بسيئاتهم، لا أنهم فعلوه من تلقاءَ أنفسهم، وإن كان سببه منهم، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح [(٣)] .

٦ - أن التائب يوقف على سيئاته، ثم تبدَّل حسنات، قال أبو عثمان النَّهدي : إن المؤمن يُؤتى كتابه في ستر من الله - عز وجل -، فيقرأ سيئاته، فإذا قرأ تغير لها لونه حتى يمر بحسناته، فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، فعند ذلك يقول: {هَاؤُمُ اقْرَأوا كِتَابِيَهْ} الحاقة : ١٩ [(٤)] .

جا صحا لة ل لأ ل على ستة لال صحا لة ل لثالا بما يلي :

١ – قالوا : كيف يمكنكم الاحتجاج بحديث أبى ذر على صحة قولكم وهو صريح في أن هذا الذي قد بدلت سيئاته حسنات قد عذب عليها في النار حتى كان آخر أهلها خروجاً منها ؟

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧٢٣٥) ، وأخرجه: ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (٢٧١٨) ، وأبو نعيم في " معرفة الصحابة " (٣٨٠٩) ، والخطيب في " تاريخه " ٣٥٢/٣ ، والحديث صححه ابن منده كما في " الإصابة " (١٥٢/٢) .

(٢) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٧

(٣) انظر : المصدر السابق

(٤) الزهد لابن المبارك (٤٩٧/١) ، وأخرجه : ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير"(٢٣٠/٨) ، والخطيب في " تاريخه " (٦/١١) .

فهذا قد عوقب على سيئاته فزال أثرها بالعقوبة ، فبدل مكان كل سيئة منها حسنة، وهذا حكم غير ما نحن فيه، فإن الكلام في التائب من السيئات ، لا فيمن مات مصراً عليها غير تائب، فأين أحدهما من الآخر؟[١]

وقال ابن رجب : " فإذا بُدِّلَت السيئاتُ بالحسّنات في حقِّ من عوقِبَ على ذنوبه بالنار، ففي حقِّ من محي سيئاته بالإسلام والتوبة النصوح أولى؛ لأنَّ مَحْوَها بذلك أحبُّ إلى الله من محوها بالعقاب" [٢] .

٢ - وأما حديث أبى هريرة فلا يثبت مثله، ومَن أبو العنبس، ومن أبوه حتى يقبل منهما تفردهما بمثل هذا الأمر الجليل ؟ وكيف يصح مثل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حرصه على التنفير من السيئات وتقبيح أهلها وذمهم وعيبهم والإخبار بأنها تنقص الحسنات وتضادها ؟

فكيف يصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه يقول: (ليتمنين أقوام أنهم أكثروا منها)؟، ثم كيف يتمنى المرءُ إكثاره منها، مع سوءِ عاقبتها، وسوءِ مغبتها ؟

وإنما يتمنى الإكثار من الطاعات ؟

وفى الترمذى مرفوعاً : "ليتمنينَّ أقوام يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض، لما يرون من ثواب أهل البلاءِ"[٣] .

فهذا فيه تمني البلاءِ يوم القيامة لأجل مزيد ثواب أهله، وهو تمني الحسنات، وأما تمني الحسنات فهذا لا ريب فيه، وأما تمني السيئات فكيف يتمنى العبد أنه أكثر من السيئات؟ هذا مال لا يكون أبداً ، وإنما يتمنى المسيء أن لو لم يكن أساءَ، وأما تمنيه أنه ازداد من إساءته فكلا .[٤]

٣ – قالوا : وأما ما ذكرتم من أن التبديل هو إثبات الحسنة مكان السيئة فحق. وكذلك نقول : إن الحسنة المفعولة صارت في مكان السيئة التي لولا الحسنة لحلت محلها.[٥]

٤ - قالوا : وأما احتجاجكم بإضافة السيئات إليهم وذلك يقتضي أن تكون هي السيئات الواقعة ، وتنكير الحسنات وهو يقتضي أن تكون حسنات من فضل الله ، فهو حق بلا ريب ؛ ولكن من أين يبقى أن يكون فضل الله بها مقارناً لكسبهم إياها بفضله ؟

قالوا : وأما قولكم : إن التبديل مضاف إلى الله لا إليهم وذلك يقتضي أنه هو الذي بدلها [سبحانه] من الصحف لا أنهم هم الذين بدلوا الأعمال بأضدادها، فهذا لا

---

(١) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٨

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٢٢/١) .

(٣) رواه الترمذي في الزهد، باب رقم (٥٩) رقم الحديث (٢٤٠٤) . وحسنّه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٣٢٥١

(٤) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٤٨

(٥) انظر : المصدر السابق (٢٤٩)

دليل لكم فيه ، فإن الله خالق أفعال العباد، فهو المبدل للسيئات حسنات خلقاً وتكويناً، وهم المبدلون لها فعلاً وكسباً [١] .

٥ – وقد أشار ابن رجب إلى إنكار أبي العالية، ومجاهد له ، وأن فيه مواضع إنكار، ثم ذكر ما حاصلهُ أنَّه يلزمُ من ذلك أنْ يكونَ مَنْ كثرت سيئاته أحسنَ حالاً ممن قلَّت سيئاته حيث يُعطى مكان كلّ سيئة حسنة [٢] .

ثم قال ابن رجب : " قلت: هذا القول - وهو التبديل في الآخرة - قد أنكره أبو العالية، وتلا قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً} آل عمران : ٣٠ ، وردَّه بعضهم بقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} الزلزلة : ٨ ، وقوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} الكهف : ٤٩ " [٣] .

الترجيح :

وبعد عرض أدلة وحجج كل طائفة فالذي يظهر أن السيئة لا تنقلب حسنة وإنما يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة . كما قال ذلك بعض المفسرين .

فإذا كانت كل سيئة من سيئاته قد تاب منها فتوبته منها حسنة حلت مكانها ، فهذا معنى التبديل، لا أن السيئة نفسها تنقلب حسنة .

وقال بعض المفسرين في هذه الآية : " يعطيهم بالندم على كل سيئة أساؤوها حسنة " [٤] .

وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير : " إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة ، يعمل الحسنة فيعجب بها ، ويفتخر بها حتى تدخله النار، ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة " [٥] .

وقال في إرشاد الساري : " وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات" [٦] .

---

(١) انظر : المصدر السابق (٢٤٩)
(٢) انظر : جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٣) جامع العلوم والحكم (٣١٩/١)
(٤) انظر : محاسن التأويل (٤٤٣/٧) ، وطريق الهجرتين ص ٢٥٠
(٥) مجموع الفتاوى (٢٩٤/١٠) .
(٦) إرشاد الساري (٢٧٦/٧)

وقال ابن كثير: " تنقلب السيئات الماضية بنفس التوبة النصوح حسنات لأنه كلما يذكرها ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة فيوم القيامة وإن وجدها مكتوبة عليه لكنها لا تضره بل تنقلب حسنة في صحيفته "[1] .

ولا يعني ذلك أن يتعمد الإنسان فعل السيئة لكي يحصل على الحسنة بالتوبة منها ، قال ابن تيمية : " ولا ريب أن السيئات لا يؤمر بها ، وليس للعبد أن يفعلها ليقصد بذلك التوبة منها ، فإن هذا مثل من يريد أن يحرك العدو عليه ليغلبهم بالجهاد ، أو يثير الأسد عليه ليقتله ، ولعل العدو يغلبه والأسد يفترسه بل مثل من يريد أن يأكل السم ثم يشرب الترياق ، وهذا جهل بل إذا قدر من ابتلى بالعدو فغلبه كان أفضل ممن لم يكن كذلك و، كذلك من صادفه الأسد ... والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها " [2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١١٥/٦) .

(٢) منهاج السنة (٢٣٧/٢ وما بعدها) .

لم جع لمصا

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لأحمد بن محمد القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ
- الاستقامة ، لابن تيمية . تحقيق محمد رشاد سالم . مكتبة ابن تيمية . القاهرة .
- بيان العلم وفضله . لابن عبد البر . تحقيق أبي الأشبال الزهيري . الطبعة الأولى. المملكة العربية السعودية ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤١٤هـ
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي. بيروت : دار الكتب العلمية
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ
- تفسير البغوي . تحقيق جماعة من الباحثين. الطبعة الثانية. الرياض : دار طيبة ، ١٤١٧هـ
- تفسير القرآن العظيم ، بن كثير (ت:٧٧٤) ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٤٠١ ، ط٢ (١) جامع
- جامع البيان في تأويل القرآن. لابن جرير الطبري . ت أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ
- جامع العلوم والحكم . عبدالرحمن بن أحمد بن رجب . دار المعرفة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي محمد بن أحمد ،دار الكتب المصرية (١٣٨٧هـ) ، الطبعة الثانية
- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
- الزهد والرقائق لابن المبارك ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، ت حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية – بيروت
- سنن الترمذي . للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ
- السنن الكبرى للنسائي . لأحمد بن شعيب النسائي . تحقيق : عبد الغفار البنداري وسيد كسروي . بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١١هـ
- شرح سنن أبي داود ، بدر الدين العينى ، تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
- صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة، بيروت
- صحيح الجامع . محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الثانية ١٤٠٦ . المكتب الإسلامي .

- صحيح سنن النسائي . لمحمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتب التربية العربي ، ١٤٠٩هـ
- صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج (ت:٢٦١) ، ت محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية
- طريق الهجرتين ، لابن القيم . تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر . دار ابن القيم – الدمام . الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ
- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ ، محمد الأمين الشنقيطي ، ت خالد بن عثمان السبت ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ
- فيض القدير ، عبدالرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ .
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد الثعلبي، ت الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م
- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم (ت:٧١١) ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام . ابن تيمية (ت:٧٢٨) ، جمع ابن قاسم ، مكتبة النهضة الحديثة .
- محاسن التأويل ، محمد جمال القاسمي ، ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية ن ت عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
- مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٤١٥
- مدارج السالكين ، لابن القيم . تحقيق : محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ
- المستدرك .لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ
- المعجم الكبير . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. الجمهورية العراقية : وزارة الأوقاف
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهانى ، ت صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- منهاج السنة ، لابن تيمية . تحقيق محمد رشاد سالم . مؤسسة قرطبة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ